

5

قصص المبشرين بالجنة

حبيب الرسول
وجاره في الجنة

سليمان العناني

حبيب الرسول وجاره فى الجنة

(الزبير بن العوام)

كان الإسلام مازال غريبا فى مكة .. لم يؤمن به إلا قلة
قليلة تعيش فى عزلة فرضتها عليها قوى الطغيان .. فبوروا
تجارة التجار .. ونحووا الزعماء عن زعامتهم .. وبقي
المسلمون يستخفون فى دار (ابن الأرقم) يتقابلون سرا ..
ويصلون خفية ويتدارسون القرآن همسا .. وشاع فى مكة
أن (محمدا) قد قُتل ..

واستل الفتى (الزبير) سيفه وشهره عاليا ، وراح يجرى
فى طرقات مكة يتيقن من الخبر ، وهو يقسم فى نفسه أن
يطيح برقاب أهل مكة كلها إذا كان الخبر صحيحا ..
ولقيه الرسول وهو فى حالته هذه .. فهذا من روعه
وباركة وصلى عليه ودعا له بالخير ولسيفه بالغلبة ..

فمن هو (الزبير) .. هذا الفتى المسلم القوي الجريء ..
هو (الزبير بن العوام) ابنُ السيلة (صفية) بنت عبد
المطلب عمّة النبي عليه السلام ..
ويلتقى نسب الزبير مع نسب النبي محمد في جدهما
الرابع (قصي بن كلاب) .

أسلم الزبير مبكراً .. وكان لم يزل فتى في حوالى الخامسة
عشرة .. ويقال فى الحادية عشرة .. لهذا فقد تعرض لتعذيب
مبرح من عمه الذى كان يلفه بحصير ويعلقه من قدميه ثم
يدخن عليه بالنار حتى يكاد يخنق ثم ينادى عليه ..
- اكفر برّب محمد أدراً عنك هذا العذاب .

فيجيبه الفتى المؤمن :

- لا .. والله لا أعود للكفر أبداً ..

ويهاجر (الزبير) إلى الحبشة فى المهجرتين : الأولى
والثانية ، هرباً من هذا العذاب وهذا الاضطهاد ، ثم يعود

إلى جوار رسول الله ويتزوج من أسماء بنت أبي بكر
(ذات النطاقين) ..

هكذا يلتقى رجل مبشّر بالجنة مع فتاة مبشرة بالجنة فى
زواج يرزقان منه بسبعة من الأولاد ، حملوا جميعا أسماء
شهداء الدعوة الإسلامية ، فقد كان أبوهم يتمنى أن ينالوا
شرف الشهادة مثل سابقهم ..

شهد (الزبير بن العوام) كل غزوات رسول الله وله فى
كل موقعة بطولات تشهد عليها هذه الرواية التى قصها
علينا واحد من أصحابه .. الذى يقول :

"صحبت (الزبير بن العوام) فى بعض أسفاره ورأيت
جسده .. مجذعا بالسيوف ، وإن فى صدره لأمثال العيون
الغائرة من الطعن والرمى ..

فقلت له : والله لقد شاهدتُ بجسمك ما لم أراه بأحد
قط ..

فقال لى : أما والله ما منها جراحةٌ إلا مع رسولِ الله وفى
سبيلِ الله " ..

فهل نقف مع (الزبير بن العوام) فى (غزوة بدر
الكبرى) فى أولى هذه المواقع الكبرى التى شهدتها الصراع
العسكرى بين الكفر والإيمان؟

حشدت قريش لهذا اليوم عُدتها مع خيرِ فرسانها
يتصدرهم أشهرُ فرسانها (عبيلةُ بنُ سعيد بن العاص)
المشهور بشدته وبطولته النادرة وفروسيته الفذة ..

وقف (ابن العاص) فى مقدمة الصفوف متدعاً من قمة
رأسه إلى أخمص قدميه متحدياً من (يتهور) ويجازف بمنازلته
..

لكن من يقدر على هذا الفارس المشهود له وقد اختفى
كل جسمه تحت الدروع ولم يعد يرى منه إلا عينه ..
وتقدم إليه الزبيرُ بنُ العوام .. وراح يلف حوله

ويدور ويفكر ..

وفجأة دفع الزبير رمحہ القصيرة (العنزة) ووجهہ بها طعنةً
نافلة بإذن الله اخترقت عين (ابن العاص) لتستقر في
مؤخرة رأسه ..

وانطلقت صرخة الفزع والألم من عدو الله وهو يسقط
جثة هامدة أمام باقى المشركين الذين كانوا يعقدون عليه
الآمال الكبار .

هنا دب الفزع في صفوف قريش .. وعلت صيحات
التكبير في صفوف المسلمين .. وكانت طعنة (ابن الزبير)
النافلة بدايةً لانتصار كبيرٍ حققه جندُ الله من المسلمين ..
في غزوة (بدر) ..

ولما علم رسول الله بما فعل الزبيرُ دعا له وطلب رمحہ
القصيرة (العنزة) واحتفظ بها تكريماً لها ولصاحبها ..
ولم يكن يومُ (بدر) هو فقط يومُ الزبير .. بل كانت كل

أيام الإسلام أيامه ..

يروى عن الزبير أنه ذهب مع (على) كرم الله وجهه إلى
أحد الحصون المنيعه (لبنى قريظة) أثناء حصارهم .. ثم وقفا
دون باب الحصن وقالا معا ..

"والله لنذوقن ما ذاق حمزة(*) أو لنفتحن عليهم
حصنهم" ..

ثم اندفعا معا إلى الحصن ففتحا بابه وسط زهول
المختبئين فيه ..

ودخله المسلمون بإذن الله مهللين مكبرين ..

أما يوم (اليرموك) فقد كان يوما مشهودا بين المسلمين
والروم فى أرض الشام ..

وكان الروم قد حشدوا جيوشهم القوية الكبيرة .. إلا أن
المسلمين لم يهابوا هذا الحشد ، ولم يرهبوا تلك القوة ..

(*) هو حمزة بن عبد المطلب عم النبي محمد الذى استشهد فى موقعة (أحد) .

وكيف يهابون وهم يحملون في قلوبهم إيماناً يحب إليهم
طلب الشهادة؟!

اجتمعت مجموعة من أبطال المسلمين ، وجاءوا إلى الزبير
وقالوا :

- ألا تحمل⁽¹⁾ فنحمل معك ؟

- قل الزبير : نعم ..

وانطلق الزبيرُ ومن خلفه جماعةُ المسلمين يشق
الصفوفَ ، لا تمنعه قوةٌ .. شاهراً سيفه ، حاملاً رمحه وراح
يقاتل قتالَ الفدائي .. وانتقلت روحه القويةُ إلى باقى
رجالهِ ، فأشاعوا الرعب فى صفوفِ الروم ..

وحقق جيشُ الإسلامِ فى اليرموك نصراً بعد نصرٍ ..
وخلد التاريخُ اسم (الزبير بن العوام) قائداً .. فدائياً .
مناضلاً .. مقداماً ..

(1) تحمل : أى تقود حملة أو تشن غارة على الأعداء .

تتابعت فتوحُ المسلمين .. وارتفعت رايةُ الإسلامِ في
عديدٍ من البلاد .. ودخل المسلمون مصر بقيادة (عمرو بن
العاص) ..

مضت جيوشُ (عمرو) تطوى أرضَ مصر دون مقاومةٍ
تذكر .. فقد رحب المصريون بهذه الدعوة ورأوا فيها
خلاصاً مما يلقونه من ظلمٍ وبطشٍ من جانب الحكم
الروماني .. حتى إذا وصلت جيوشُ المسلمين إلى (حصن
بابلليون) شعر ابن العاص أنه بحاجة إلى مدد يعاونه على
اقتحامِ هذا الحصنِ الذي تركزت فيه كلُّ قوى الرومان في
مصر .. فكتب إلى (ابن الخطاب) يطلب المساعدةً .

وأرسل (ابن الخطاب) إلى (ابن العاص) أربعة آلاف
جندي بقيادة أربعةٍ من خيرة القادة .. وكتب إليه يقول :
" لقد أمدتُك بأربعة آلاف عليهم أربعةٌ من مشاهيرِ
الصحابَةِ الواحد منهم بألف رجل " ..

فمن هم هؤلاء الصحابة الذين يعادل الواحد منهم ألف رجل ؟

إنهم (الزبير بن العوام) ، و (عبادة بن الصامت) .. و (المقداد بن الأسود) ، و (مسلمة بن مخلد) .. (عليهم رضوان الله) ..

وتتجه جيوش الإسلام بعد هذا الدعم إلى حصن (بابلين) المنيع .. ويشعر الجميع أن اللحظة حاسمة وأن الموقف حرج وخطير .. إنها لحظة فاصلة في تاريخ نشر دعوة الإسلام ..

ويومها تتجلى عبقرية (ابن العوام) العسكرية وفدائيته .. فقد تسلل إلى أحد جدران الحصن حيث وضع سلماً ليصعد عليه ، وطلب من المسلمين أن يجيبوه مجتمعين إذا ما سمعوه يطلق الصيحة الكبرى .. الله أكبر .. ويصعد (ابن الزبير) الحصن في هدوء حتى يرتقى قمته ثم يطلق

صيحته (الله أكبر) ..

هنا تنطلق خلفه صيحات آلاف من الجنود مكبرةً مرات
ومرات .. ويدب الرعبُ في قلوب الرومان ويظنون أن
المسلمين قد دخلوا الحصن ، ويولون الأدبار هاربين فارين ..
ويتجه (الزبير بن العوام) إلى باب الحصن فيفتحه ،
ويدخل المسلمون لينتهى هذا الحصارُ دون إراقة نقطة دمٍ
واحلة .. ليسجل التاريخُ مرةً أخرى اسم (الزبير بن
العوام) قائدا فذا في كتاب الجهاد في سبيل الله .

ويواصل (ابن الزبير) جهاده تحت إمارة (عمرو بن
العاص) لفتح باقى أقاليم مصر ، ويكون له دورٌ بارزٌ في
فتح الإسكندرية ..

لله درك أيها المحاربُ الشريفُ .. وأيها المقاتلُ القوي ..
فقد وهبت حياتك كلها للنضال في سبيل الله وفي سبيل
دعوته .. ولم تطمع في أى شيءٍ آخر حتى قيل عنك :

"إنه ما ولى إمارة قط ، ولا جباية ، ولا خراجا ولا شيئا إلا

الغزو فى سبيلِ الله"

كذلك عفا (الزبير) عن الوظائفِ والمهام غيرِ القتاليةِ
رغم أن عائدها كان مجزيا .. ومجهودها قليل ..

لقد أثر أن يحدّد هدفه (نشر دعوة الإسلام) كما أنه حدد
وسيلته (الجهاد فى سبيلِ الله) ..

ولم يكن الزبير مقاتلا فى سبيلِ رفعةِ الإسلام فقط بل
كان باذلا للمال .. أنفق كلَّ ثروته فى سبيلِ الله حتى مات
وهو مدين ..

لقد أحبه رسولُ الله وقربه من مجلسه .. فهو المحاربُ
القوى ، والجوادُ السخى .. والذي أقرض الله قرضا حسنا ..
وكان الرسول يقول عنه :

"لكى نبى حوارى .. وحوارى الزبير بن العوام" .

فها هو ذا النبي يعترف بأن الزبير هو أقرب الناس إلى
قلبه وأكثرهم حرصاً عليه وتمسكاً به نبياً ورسولاً وإنساناً
عظيماً ..

وإننا لنقف أمام وصف (شاعر الرسول) حسان بن
ثابت للزبير ونتأمل هذه العظمة ، وهذا المجد الذي صنعه
محارباً في سبيل الله بحد سيفه وبسالة عطائه ..
يقول حسان :

أقام على عهد النبي وهديه
حواريه والقول بالفعل يعدلُ
أقام على منهاجه وطريقه
يوالي ولي الحق والحق أعذلُ
هو الفارس المشهور والبطل الذي
يصول إذا ما كان يوم محجل

له من رسول الله قربي قريبة
ومن نصرة الإسلام مجد مؤئل
فكم كربة ذب الزبير بسيفه
عن المصطفى والله يعطى ويجزل
سلام على الزبير بن العوام .
وسلام على رفيق كفاحه (طلحة بن عبيد الله) اللذين لم
يُذكر أحدهما إلا وذكر الآخر .

فقد تشابها وتزاملا ..
أسلما في عام واحد ..
وقتلا في يوم واحد ..
ودفنا متجاورين ..
بشرهما النبي ﷺ بالجنة معا عندما قال :
(طلحة والزبير جاراي في الجنة) .

